

المقبر

رسالة ابن القارح

الى ابي العلاء المعري

(الى القاري مخطوطاً من اندر المخطوطات ظفرنا به في خزانه كتب استاذنا الشيخ طاهر الجزائري كتبه ابو حسن علي بن منصور الحلبي المعروف بالقارح الى ابي العلاء المعري فاجلب عنها هذا سيف رسالة خاصة سماها رسالة الغفران طبعت بمصر سنة ١٣٢١ - ١٩٠٣ في مطبعة هندية . اما ابن القارح وكان بلقب بدوخله فكان شيخاً من اهل الادب راوية للاخبار حافظاً لقطعة كبيرة من اللغة والاشعار قوياً وبالحق وكان ممن خدم ابا علي القارمي في داره وهو صبي ثم لازمه وقرأ عليه وكانت معيشته التعليم بالشام ومصر . قال ابن عبد الرحيم وشعره يجري مجرى شعر المعلمين قليل الخلاوة خلل من الطلاوة وكان آخر عهدي به بشكرت في سنة احدى وعشرين واربعائة فاننا كنا مقيمين بها واجتاز بنا واقام عندنا مدة ثم توجه الى الموصل فبلغني وفاته من بعد وكان يذكر ان مولده بحلب سنة احدى وخمسين وثلاثمائة . قال ياقوت وعلي بن منصور هذا يعرف بابن القارح وهو الذي كتب الى ابي العلاء المعري الرسالة المعروفة برسالة ابن القارح فاجابه ابو العلاء برسالة الغفران وذكر اسمه فيها)

بسم الله الرحمن الرحيم

استفتاحاً باسمه واستنجاحاً ببركته والحمد لله المبدي بالذم المنفرد بالقدم الذي جل عن شبه المخلوقين وصفات المحدثين ولي الحسنات المبرأ من السيئات العادل في افعاله الصادق سيف اقواله خالق الخلق ومبديه ومبقيه ماشاء ومفتيه وصلواته على محمد وابرار

عثرته واهليه، صلوة ترضيه وتقر به وتدنيه وتزفه وتحظيه كتابي احوال الله بقاء مولاي
الشيخ الجليل ومد مدته، وادام كفايته وسعاده، وجعلني فداؤه، وقدمني قبله على الصحة
والحقيقة وبعد النصد والعقيدة وليس على مجاز اللفظ ومجرى الكتابة ولا على تنقص
وخلابة وتجب ومسامحة ولا كما قال بعضهم وقد عاد صديقاً له كيف تجددك جعاني الله
فذاك وهو بقصد تحيياً ويريد تملقاً وإفان انه قد أسدى حميلاً يشكره صاحبه ان نهض
واستقل وبكافته عليه ان افان وابل عن سلامة تمامها بحضور حضرته وعافية نظامها
بالتشرف بشريف عزته وميمون تقيته وطلعت، ويلم الله الكريم تقدرت اسماءه اني لو
حننت اليه ادام الله تأييده حنين الواله الى بكرها وذات الفرج الى وكرها او الحماة
الى الفها او الغزاة الى خشفها لكان ذلك مما تغيره الليالي والايام والعصور والاعوام لكنه
حنين الظمان الى الماء والخائف الى الامن والسليم الى السلامة والغريق الى النجاة والقاتل
الى السكون بل حنين نفسه النفيسة الى الحمد والمجد فاني رأيت نزاعها اليهما نزاع الاستقسات
الى عنامرها والاركان الى جواهرها فان وهب الله لي ملائ من العمر يؤنسني بروايد
ويعلقني بجمل مودته مرت كساري الليل التي عصاه واحمد مسراه وقر عيناً ونعم بالاولوكان
كمن لم يمسه سو ولم يتخوفه عدو ولا نهكه رواح ولا غدو وعسى الله ان يمن بذلك
بيومه او بثانيه وبه الثقة وانا اسأل الله على التداني والنوى والبعاد امتاعه بالفضل الذي
استعلى على عائقه وغاربه واستولى على مشارقه ومغاربه فمن مر على بحره الهياج ونظر
في لآله بدره الوهاج خليق بان يكبو قلبه بانامه وينبو طبعه عن رسائله الا ان يلقي
اليه بالمقاييد او يستهو به اقليداً من الاقاليد فيكون منسوباً اليه ومحسوباً عليه ونازلاً في
شعبه واحد اصحابه وحزبه وشرارة تياره وقراضة ديناره وسمك بحره وتمد غمره وهيبات
ضاق قدر عن مسير ليس التكحل في العينين كالنحل خلقوا اسخياء لا متساخين وليس
السخي من يتساخي لاسميا واخلق النفس تلزمها لزوم الالوان للابدان لا يقدر الايض
على السواد ولا الاسود على البياض ولا الشجاع على الجبن ولا الجبان على الشجاعة قال
ابو بكر المزرمي :

بفرجبان القوم عن أم رأسه ويحمي شجاع القوم من لا يناسبه
ويرزق معروف الجواد عدوه ويحرم معروف البخيل اقاريه
ومن لا يكف الجهل عن يوده فسوف يكف الجهل عن يوابه

ومن اين للضباب صوب السحاب وللغراب هدى العقاب وكيف وقد اصبح ذكره

في مواسم الذكر آذانا ولّى معالم الشكر لسانا فمن دافع العيان وكابر الأنس والجنان واستبد بالافك والبهتان كان مكن صالب يوقاذه الحجر وحاسن بقباحته القهر وهذى وهذر وتعاطى فقره وكان كحجموم بلسم فغفر ونادى على نفسه بالنقص في البدو والحضر وكان كما قال من يعنيه ولا يشك فيه

كنطاح صخرة يوماً ليفلتها فلم يضرها واوهى قره الوعل
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وزاده شرفاً لديه قال لعن الله ذا الوجهين لعن الله
ذا اللسانين لعن الله كل شقار لعن الله كل قتات - وردت حلب ظاهرها حماها الله تعالى
وحرسها بعد ان منيت برضها بالدرخمين وام حبوكري والفتكرين بل رमित بآبدة الآباد
والداهية النآد فلما دخلتها وبعد لم تستقر في الدار وقد نكرتها لفقدان معرفة وجار
واشدتها باكيها :

اذا زرت ارضاً بعد طول اجتنابها فقدت حبيباً والبلاد كما هيا
كان ابو القطراني المزار بن سعيد الفقعسي يهوى ابنة عمه بنجد واسمها وحشية
فاحتداها رجل شامي الى بلده فقمه بعدها وساء فراقها فقال من قصيدة :

اذا تركت وحشية النجد لم يكن لعينيك مما تبكيان طيب
رأى نظرة منها فلم يملك البكا معاوز يربو تحتها كتيب
وكانت رياح الشام تكره مرة فقد جعلت تلك الرياح تطيب

فصلت من الرياح على الرياح كما حصل لابي القطراني من وحشية ثم وثم وثم
أجري ذكره ادام الله تأييده من غير سبب جره وغير مقتضى اقتضاه فقال الشيخ
بالنحو اعلم من سبويه وباللغة والعروض من الخليل فقلت والمجلس بأزز بلغني انه ادام
الله تأييده يصغر كبيرة وينزر صغيره فيصير تصغيره تكبيراً وتحقيره تكثيراً وهكذا
شاهدت من شاهدت من العلماء رحمهم الله اجمعين وجعله وارث اطول اعمارهم
وامدها وانصرها وارغدها وما ثم له حاجة دعت الى هذا قد تقف النور وتوضع النور واداءه
الصحيح لذي عينين كان ابو الفرج الزهرجي كاتب حفرة نصر الدولة ادام الله حراسته
كتب رسالة الي اعطانيها ورسالة اليه ادام الله تأييده استودعنيها وسألني ايصالها الى
جليل حضرته واكون نائثها لابعثها ومجملها لأمو جلها فسرقت عدلي رحلاً لي الرسالة
فيه فكشبت هذه الرسالة اشكو اموري وابث شتوري واطلعه طلع عجري وبحري وما لقيت
في سفرني من اقيام يدعون العلم والادب والادب ادب النفس لأدب المدرس وهم

اصغار منهما جميعاً ولم تصحيفت كتب اذا رددتها عليهم فنبوا التصحيف الي وصاروا
إلى علي لتيت ابا الفرج الزهرجى بآمد ومعه خزانه كتبه فعرضا علي فقلت كتبك هذه
يهودية قد برئت من الشريعة الحيقية فاعلم من ذلك اعظاماً وانكروا فقلت له انت على
المجرب ومثلي لا يعرف بما لا يعرف وبلغ يقين فقرأ هو وولده وقال صغر الخبر الخبر
وكتب الي رسالة بقرطبي فيها بطبع له كريم وخلق غير ذميج قال المتنبي : اذم الي هذا
الزمان اهله صغرام تصغير تخدير غير تكبير وتقليل غير تكثير فنفث مصدوراً وظهر
ضميراً مستوراً وهو سائق في مجاز الشعر وقائله غير ممنوع من النظم والنثر ولكته وضعه
غير موضعه وخاطب به غير مستحق وما يستحق زمان ساعده بلقاء سيف الدولة ان يطلق
تلك اهله الدم وكيف وهو القائل يخاطبه

اسير الي اقطاعه في ثيابه على طرفه من داره بحمامه

وقد كان من حقهم ان يجعلهم في خفارتهم اذ كانوا منسوبين اليه وعصوبين عليه ولا يجب
ان يشكروا عافلاً ناعقاً الي غير عاقل ولا ناطق اذ لزمان حركات الفلك الا ان يكون
من يعتقد ان الافلاك تعقل وتعلم وتفهيم وتدرى بمواقع افعالها بقصود وارادات ويعمله
هذا الاعتقاد على ان يقرب لها الترابين ويدخن الدخان فيكون مناقضاً لقوله

فتباً لدين عبيد النجوم ومن يدعي انها تنقل

او يكون كما قال الله تعالى في كتابه الكريم « مذهبين بين ذلك لا الي هو لا ولا
الي هو لا » ويرشك ان تكون هذه صفة »

حكى القسري وابن ابي الاثير في تاريخ اجتماع علي تصنيفه واهل بغداد واهل مصر
يزعمون انه لم يصنف في معناه مثله لصغر حجمه وكبر علمه يحكيان فيه ان المتنبي اخرج
ببغداد من المجلس الي مجلس ابي الحسن علي بن عيسى لوزير رحمه الله فقال له : انت
احمد التنبي فقال انا احمد التنبي وكشف عن بطنه فاراه ساعة فيه وقال هذا طابع
نبوتي وعلامة رسالتي فامر بقلع جميعه وصفه به خمسين واعاده الي محبته ويقول
لسيف الدولة

ونغضبون على من نال رفقكم حتى يعاتبه التغيض والمثني

كذب والله لقد كان يتحش بالكارم ويتحكك بها ويحسد عليها ان تكون الا
منه وبه وحده غير قادح سبه سلاوة شعره وروني ديباجته ولكني اغتاض على الزنادقة
والمحدثين الذين يتلاعبون بالدين ويرمون ادخاله بالشكوك على المسلمين ويدعونه

القدح في نبوة النبيين صلوات الله عليهم اجمعين ويتطرفون ويبتذلون إعجاباً بذلك المذهب تيه مغن وظرف زنديق . وقتل المهدي بإشراقاً على الزندقة ولما شرب بها وخاف دافع عن نفسه بقوله

يا ابن نهبيا رأسي علي ثقيل واحتمل الرأسين عب ثقيل
فادع غريبه الى عبادة ربه من أفاني بواحد مشغول

واحضر صالح بن القدوس واحضر النطع والسياف فقال علام ثقتاني قال
على قولك

رب سر كتمته فكأني اخرس او ثني لسان عقل
ولو اني اظهرت للناس ديني لم يكن لي في غير حبسي اكل
باعدي الله وعدي نفسه

الستردون الفاحشات ولا يلقتاك دون الخير من ستر
فقال قد كنت زنديقاً وقد ثبت عن الزندقة قال كيف وانت القائل
والشيخ لا يترك عاداته حتى يوارى في ثرى رمسه
اذا ارعوى عاد الى غيه كذبي الضنى عاد الى نكده

واخذ غفلة السياف فاذا رآه يتدهداً على النطع . وظهر في ايامه في بلد خاف
بخارا وراء النهر رجل قصار اعور عمل له وجهاً من ذهب وخوطب برب العزة وعمل لم
قراً فوق جبل ارتفاعه فرائس فافند المهدي اليه فأحيط به وبقلته فخرق كل شيء فيها
وجمع كل من في البلد ومقام شرباً مسموماً فأتوا باجمعهم وشرب فلقق بهم وعجل الله
بروحه الى النار . والصناديق في اليمن فكانت جيوشه بالمديخرة وسفنه وخوطب بالربوبية
وكوتب بها فكانت له دار أفاضة يجمع اليها نساء البلدة كلها ويدخل الرجال عليهم
ليلا قال من يوثق بخبره دخلت اليها لانظر فسمعت امرأة تقول يا بني فقال : يا أمه تريد
ان تخفي امر ولي الله فينا وكان يقول : اذا فعلتم هذا لم يتبين مال من مال ولا ولد من
ولد فنكونون كنفس واحدة فغزاه الحسيني من صنعاء فهزمه وتحصن منه في حصن
هناك فانفذ اليه الحسيني طبيباً بمضغ مسموم ففصد به فقتله . والوليد بن يزيد اقام في
الملك سنة وشهرين وایاما وهو القائل

اذا مت يا ام الخبيكل فانكحي ولا تأملی بعد الفراق تلاقيا
فان الذي حدثته من لقاءنا احاديث طسم تترك العقل واهيا

ورمى المصحف بالشباب وخرقه وقال

إذا ماجئت ربك يوم حشر فقل يارب خرتي الوليد
وانفذ الى مكة بناءً مجوسياً لبني له على الكعبة مشربة فأت قبل تمام ذلك فكان
الحجاج يقولون : لييك اللهم لييك يا قاتل الوليد بن يزيد لييت واحضر بنايجة
من ذهب وفيها جوهرة جليلة الذر صورة رجل فجد له وقبله وقال اسجد له باعلج
قلت ومن هذا قال هذا ماني شأنه كان عالياً أضمل امره اطول المدة فقلت لا يجوز
السجود إلا لله فقال قم عنا وكان يشرب على سطح وبين يديه باطية كبيرة بلور وفيها
اقداح فقال لتدماؤه ابن القمر الليلة فقال بعضهم : في الباطية فقال : صدقت آتيت
على ماني نفسي والله لاشربن المفتحة يعني شرب سبعة اسابيع متتابعة وكان بموضع
حول دمشق يقال له الجحرا فقال

تلعب بالنبوة هاشمي بلا وحي اناء ولا كتاب

فقتل بها ورأيت رأسه في البالية التي اراد ان يفتح بها وابوعيسى بن الرشيد القائل
دهاني شهر الصوم لا كان من شهر ولا صمت شهراً بعده آخر الدهر
ولو كان يعديني الامام بقدره على الشهر لاستعدبت دهري على الشهر
عرض له في وقته مرع فأت ولم يدرك شهراً غيره والحمد لله . والجناي قتل بمكة
الوقا واخذ ستة وعشرين الف حمل خفاً وضرب آلاتهم واثقالهم بالنار واستملك من
النساء والغلمان والصبيان من اصابهم الفناء كثرة ووفوراً واخذ حجر الملتزم وظن انها
مقاطيس القلوب واخذ الميزاب قال : وسمعت قائلاً يقول لغلام دحسان طوال يرفل
في يرديه وهو فوق الكعبة يارحمة اقلعه واسرع بعني ميزاب الكعبة فعلت ان اصحاب الحديث
صحفوه فقالوا بقلعه غلام اسمه رحمة كما صحفوا على علي رضي الله عنه فتهلك البصرة
بالريح فهلكت بالزنج لانه قتل علوي البصرة في موضع بها يقال له العقيق اربعة وعشرين
الفاً عدوهم بالقصب وحرق جامعا وقال في خطبته يخاطب الزنج انكم قد اغنتم بفتح منظر
فاشفعوه بفتح مخبر اجعلوا كل عامر فقرا وكل بيت قبرا . قال لي بدمشق ابو الحسين
اليزيدي الوزيري بن علي نسب جدي دخل واياه ادعى قال . ابو عبدالله محمد بن علي
بن رزام الطائي الكوفي : كنت بمكة وسيف الجنابي قد اخذ الحاج ورأيت رجلا منهم
قد قتل جماعة وهو يقول يا كلاب البس قال لكم محمد المكي ومن دخله كان آمناً اي آمن
هنا فقلت له يافني العرب تؤمنني سيفك افسرك هذا قال : نعم قلت : فيها خمسة

اجزأة الاول ومن دخله كان آمناً من عذاب يوم القيمة والثاني من فرض الذي فرضت عليه والثالث خرج محزج الخبر وهو يريد الامر كقوله والمطلقات يتربصن بانفسهن والرابع لا يقيم عليه الحدية اذا جنى في الحل والخامس من الله عليهم بقوله انا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم فقال صدقت هذه اللحية الي توبة ؟ فقلت : نعم تغلاني وذهب

والحسين بن منصور الحلاج من نيسابور وقيل من مرو يدعي كل علم وكان متهوراً جسوراً يروم اقلاب الدول ويدعي فيه اصحاب الالهية ويقول بالحلول وبظهر مذاهب الشيعة للملوك ومذاهب الصوفية للعامة وفي تضاعيف ذلك يدعي ان الالهية قد حلت فيه وناظره علي بن عيسى الوزيري فوجده صفرأ من العلوم وقال تعلك لظهورك وفرضك اجدى عليك من رسائل انت لاتدرى ما نقول فيها كم تكذب الي الناس تبارك ذوالنور الشعشعاني الذي يلمع بعد شعاعته ما احوجك الي ادب حدثني ابو علي الفارسي قال رأيت الحلاج واقفاً على حلقة ابي بكر الشبلي انت بالله ستفسد خشبة فنفض كفه في وجهه وانشد

يا سرسر يدق حتى يجل عن وصف كل حي
وظاهراً باطناً تبدى من كل شيء لكل شيء
يا جملة الكل لست غيري فما اعتذارى اذاً الي

وهو يعتقد ان العارف بن الله بمنزلة شاع الشمس منها بدا واليها يعود ومنها يستمد ضوءه انشدني الظاهر لنفسه

ارى جيل التصوف شر جيل فقل لهم واهوت بالحلول
اقال الله حين عشقتموه كلوا اكل الالهائم وارقصوا لي

وحرك يوماً بده فانتثر على قول مسك وحرك مرة اخرى فانتثر دراهم فقال له بعض من حضر من يفهم ارفي دراهم معروفة أو من بك وخلق معي ان اعطيني درهماً عليه اسمك واسم ابيك فقال وكيف هذا ولا يصنع قال من احضر ما ليس يحاضر صنع ما ليس بمصنوع وكان في كتبه اني مفرق قوم نوح ومهلك عاد وثمود فلما شاع امره وعرف السلطان خبره على صحة وقع بصره الف سوط وقطع يده ثم احرقه بالنار في آخر سنة تسع وثلاثمائة وقال لحامد بن العباس : انا اهلكك فقال حامد : الآن صح انك تدعي ما قرفت به . وابن الي العذافر ابو جعفر محمد بن علي الشافعيان اهله من قرية من قري

واسط تعرف بشلمتان وصورته صورة الحلاج ويدعي عنه قوم انه آله وان الله حل
في آدم ثم في شيث ثم في واحد واحد من الانبياء والاوصياء والائمة حتى حل في الحسن
بن علي العسكري وانه حل فيه وكان قد استغوى جماعة منهم ابن ابي عون صاحب
كتاب التشبيه ومعه ضربت عنقه وكانوا يبغونه حرمهم واولادهم يشحكم فيهم وكان
يتعاطى الكيمياء وله كتب معروفة

وكان احمد بن يحيى الراوندي من اهل مرو الروز حين الستر جميل المذهب ثم
انسلخ من ذلك كله باسباب عرضت له ولان علمه كان اكثر من عقله وكان مثله كما
قال الشاعر :

ومن يطيق مردأ عند صبوته ومن يقوم لمشور اذا خلما
صنف كتاب التاج يحتاج فيه لقدم العالم فنقصه ابو الحسين الخياط
الزمرد يحتاج فيه لابطال الرسالة نقصه الخياط .

نعت الحكمه سفة الله تعالى في تكليف خلقه امره . نقصه الخياط .
الدامغ بطعن فيه على نظم القرآن

انقضيبت بثبت ان علم الله محدث وانه كان غير عالم حتى خلق لنفسه علماً نقصه الخياط
الغريد في الطعن على النبي عليه الصلوة والسلام
المرجان في اختلاف اهل الاسلام

علي بن العباس بن جريج الرومي قال ابو عثمان النابم دخلت عليه في عاتيه التي مات
فيها وعند رأسه جام فيه ماء مثلج وخنجر مجرد لو ضرب به صدر خرج من ظهره فقلت :
ما هذا قال : الماء ابل به حلقي فقلنا يموت انسان الا وهو عطشان والخنجر ان زاد علي
الآلم نحرث نفسي ثم قال : افص عليك قصتي تستدل بها على حقيقة تلني اردت الانتقال
من الكرخ الى باب البصرة فشاورت صديقنا ابا الفضل وهو مشتق من الافضل فقال
اذا جئت الفنطرة نخذ على يمينك وهو مشتق من اليمين واذهب الى سكة النعجة وهو مشتق
من التعم فاسكن دار ابن المعافي وهو مشتق من العافية فخالفته لتعسي ونحسي فشاورت
صديقا جعفرأ وهو مشتق من الجوع والفرار فقال : اذا جئت الفنطرة نخذ على شمالك
وهو مشتق من الشوم واسكن دار ابن قلابه وهي هذه لاجرم قد انقلب في الدنيا
واحتر ما علي العصائير في هذه السدرة نصيح سيق فيها انا في السباق ثم انشدني
ابا عثمان انت قريع قومك وجودك للعشيرة دون لومك

تمتع من اخيك فما اراه يراك ولا تراه بعد يومك
والخ به البول فقلت له البول ملح بك فقال
غداً ينقطع البول ويأتي البول والبول
الا ان لقاء الله حول دونه الهول

ومات من الغد فارجو ان يكون هذا القول توبة له مما كان اعتقده من ذنبه نفسه
والرسول عليه الصلوة والسلام يقول من وجأ نفسه بمحديقة حشر يوم القيامة وحديدته
بيده يجأبها نفسه خالداً مخلداً في النار من تردى من شاطئ حشر يوم القيامة يتردى على
منخره في النار خالداً مخلداً من تحسي مما حشر يوم القيامة وسمه يده يتحساه خالداً
مخلداً^(١) في النار

قال الحسن بن رجا الكاتب جاءني ابو تمام الى خراسان فبلغني انه لا يصلي فوكت
به من لازمه اياً فلم يره صلى يوماً واحداً فعابته فقال : يا مولاي قطعت الى حضرتك
من بغداد فاحتملت المشقة وبعد الشقة ولم اره يثقل علي فلو كنت اعلم ان الصلاة تنفعني
وتركها يضرني ما تركتها فاردت قتله فخشيت ان يحمل علي غير هذا

وفي تاريخ كثيرة انه احضر المازيار الى المعتصم وقبل قدمه بيوم سخط على الافشين
لان القاضي بن ابي دواد قال للمعتصم : اعزل ويطأ امرأة عريية وهو كاتب المازيار
وزين له العصيان فاحضر كاتبه وتهده المعتصم فأقرانه كتب الى المازيار لم يكن في
الارض ولا في العصبلية الا انا وانت وباك وقد كنت حريصاً على حقن دمه حتى
كان من امره ما كان ولم يبق غيري وغيرك وقد توجه اليك عسكر من عساكر القوم
فان هزمت، وثبت انا بملكهم في قرار داره فظهر الدين الابيض فاجابه المازيار بجواب هو
عنده سقط احمر فجمع بين الافشين والمازيار فاعترف المازيار بما حكي عنه وقيل للمعتصم ان
وراء المازيار مالا جليلاً فأنشد

ان الاسود اسود الغاب همته يوم الكربة في المسلوب لا السلب

ذكروا ان اثنين قتلوا ثلاثة آلاف وخمسمائة ذباح بالثياب الحر والخناجر
الطوال وانهم وجدوا اسماءهم في وقعة وقعة وفي بلد بلد وكانوا يأخذون من كل واحد
علامة خاتمه او ثوبه او منديل او تكته اتى الوادي فطم على التري
قد لقيت من يجادلني ان علياً رضي الله عنه وكذلك الحاكم^(٢) وقد ظهر بالبصرة من

(١) وقوع لفظ الخلود في هذه الاحاديث للتهديد (٢) كذا في الاصل

بدعي ان جعفر بن محمد عليهما السلام وانه متصل به وروحه فيه ومتصلة به ولواستقصيت
القول في هذا الفن لطال جداً ولكن

لا بد للصدور ان ينفضا وللذي في الصدر ان يبعثا
بل لو قلت كل ما ائتمه اكلت زادي في محبسي بل كنت انشد
احمل راساً قد ملأت حمله الا فتى يجعل عني ثقله
واستريح الى ان انشد

ليس بشي كلوم غيري كلومي مابه مابه وما بي وما بي
ان شكوت العصر واحكامه وذمت صروفه واباه شكوت من لا بشي
ابداً وذمت من لا يرضي احداً شيمته اصطفاه اللثام والتحمل على الكرام وهمته
رفع الغامل الوضع ووضع الفاضل الرفيع اذا سمع بالحياء فأبشر بوشك الاقتضاء
واذا اعار فأحبه قد اغار فسا بين ان يقبل عليك متبشراً ويولي عنك متجهماً
متبشراً الا كبح البصر واستطارة الشر لم يخترق ذكر الوفاء مسامعه ولم يمس
ماه الحياء مدامه ظاهره سر ويونس وباطنه يسوه ويونس يخيب ظن راجيه
ويكذب امل عاقبه لا يسمع الشكوى ويشمت بالبلوى قد ذمت سيناً ووقعت فيه
انا كالفریق يطلب معلقاً والاسير يندب مطلقاً واستحسن قول علي بن العباس
ابن جريح الرومي

الا ليس شيبك بالمتزع فهل انت عن غية مرادع
وهل انت تارك شكوى الزما ن اذا شئت تشكو الى مستمع
فشيب اخي الشيب أمانة اذا مانتاهر اليها هلع

كنت في حال الحداثة اقرب الناس الي واعزهم علي واقربهم عندي واجلهم في
نفسى مرتبة من قال لي نأ الله فيا جلك جعل الله لك امد الاعمار واطولها فلما بلغت عشر
الثمانين جاء الجزع والملح فم ارتاع والناع واخذ الى الاطباع وهو الذي كنت اتنى
ويبقى لي اهلي امن صدوف النوافي عني فانا والله عنهن اصدف وبهن وادواهن اعرف
اذ لست ممن ينشد تحسراً عليهن

للسود في السود آثار تركن بها لمعا من البيض ثني اعين البيض
وقوا الآخر

ولما رأيت النسر عز ابن دابة وعشش في وكريه جاشت له نفسي

ولا انشد لابي عبادة البحرى

ان ايامه من البيض بيض ما راين المغارق السود سودا
واذا المحل ثار ثاروا غيوتاً واذا النقع ثار ثاروا اسودا
بحسن الذكر تنهم والاحاديث اذا حدث الحديد الحديد
بلدة تنبت المعالي فما يت غر الطفل فيهم اويسودا

وهذه صفة معرفة النعمان به ادام الله تأييده لاخلك منه ومن النعمة عليه وعنده
فقد وجدت اهلها معترفين بعوارفه خلا ابي العباس احمد بن خبات الممتنع ادام الله عزه
فأني وجدت آثار تقضه عليه ظاهرة ولسانه رطباً بشكره وذكره وقد ملأ السماء دعاء
والارض ثناء . قالت قريش للنبي عليه الصلاة والسلام اتباعك من هؤلاء الموالي
كبلال وعمار وصهيب خير من قصي بن كلاب وعبد مناف وهاشم وعبد شمس فقال
نعم والله لأن كانوا قليلاً ليكثرن ولأن كانوا ضعفاء لبشرفن حتى يصيروا نجوماً يهتدى
بهم ويقنذى فيقال هذا قول فلان وذكر فلان فلا تفاخروني بأبائكم الذين موتوا في
الجاهلية فلما يدهده الجعل بمنخره خير من آبائكم الذين موتوا فيها فانبعوني اجعلكم انساباً
والذي نفسي بيده لثقتن من كوز كسرى وقيصر فقال له عمه ابو طالب أبقى علي وعلى
نفسك فظن عليه الصلاة والسلام انه خاذله ومسلمه فقال يا عم والله لو وضعوا الشمس في
يمني والقمر في شمالي على ان اترك هذا الامر حتى يظهره الله او اهلك فيه ما تركته ثم
استعبر بآكياء ثم قام فلما ولي ناداه اقبل يا ابن اخي فاقبل فقال اذهب وقل ماشئت فوالله
لا اسلمتك لسوء ابداء فكان عليه الصلاة والسلام بذكر يومك ماتي من قومه من الجهد
والشدة قال لقد مكثت اياماً وصاحبي هذا يشير الى ابي بكر بضع عتسرة ليلة مالنا
طعام الا البربر في شعب الجبال وكان عتبة بن غزوان يقول اذا ذكر البلاء والشدة
التي كانوا عليها بمكة لقد مكثنا زماناً مالنا طعام الا ورق البشام اكلناه حتى نفرحت
اشداقنا ولقد وجدت يوماً تمر فجعلتها بيني وبين سعد وما منا اليوم احد الا وهو امير
على كورة وكانوا يقولون فيمن وجد تمره فقسماً بينه وبين صاحبه ان اسعد الرجلين
من حصص النواة في قسمه بلوكها يومه وليثته من عدم القوت وكذا قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لقد رعيت غنيمات اهل مكة لم بالفرار يطوا ابتدا امره انه وقف على الصفا
ونادى يا صباحاه فجاءوا بهرعون قتالوا : مادهمك ماطرة قال : بما تعرفوني قالوا محمد
الامين قال : أرايتم ان قلت لكم ان خيلاً قد طرقتكم في الوادي وان عكراً قد غشيتكم

من الفج اكتم تصدقوني قالوا : اللهم نعم ما جربنا عليك كذباً قط . قال : فان الذي
انتم عليه ليس لله ولا من الله ولا يرزاه الله قولوا لا اله الا الله واشهدوا اني رسوله
واتبعوني تطعكم العرب وتملكون المعجم وان الله قال لي استخرجهم كما استخرجوك وابعث
جيشاً ابعث خمسة امثاله وضمن لي انه يذسرفني يقوم منكم وقال لي : قاتل بن اطاعك من
عصاك وضمن لي انه يفل سلطانك كسرى وقيصر ثم انه عليه الصلاة والسلام
غزا تبوك في ثلاثين الفا وهذا من قبل الله الذي يجعل من لاشي كل شي ويجعل كل
شي لاشي يحمدا المائعات ويميع الجمادات يحمدا البحر ثم يفجر الصخر وما مثله في ذلك الا
كمثل من قال هذه الزجاجة الرقيقة الخيفة احك بها هذه الجبال الصلدة الصلبة المنيفة
قرضها وتقضها وهذه القملة الضعيفة اللطيفة تهزم العساكر الكثيرة المعدة وكذا حقيقة
امرء عليه الصلاة والسلام حتى لقد قال عروة بن مسعود الثقفي لقريش وكان رسولهم
اليه صلى الله عليه وسلم بالحديبية لقد وردت على النجاشي وكسرى وقيصر ورأيت جندهم
واتباعهم فمأربأت اطوع ولا اوفر ولا اهيب من اصحاب محمد لمحمد هم حوله وكأن
الطير على رؤوسهم فان اشار بأمر بادروا اليه وان توشأ اقتسموا وضوءه وان تنظم
دلكوا بالغلظة وجوههم ولحام وجلودهم وكانوا له بعد موته اطوع منهم في حياته حتى
لقد قال بعض اصحابه لانسبوا اصحاب محمد فانهم اسلموا من خوف الله واسلم الناس من
خوف اسياقهم فتأمل كيف استنبح دعوته وهو ضعيف وحده بان هذا سيكون فراه
العدو والولي وما كان مثله في ذلك الا مثل من قال هذه الهباء تعظم ونصير جبلاً يغطي
الارض كلها ثم انذر الناس بها في حال ضعفها وجاء صلى الله عليه وسلم يوماً ليدخل
الكعبة فدفعه عثمان بن طلحة العبدري فقال : لا تفعل يا عثمان فكأنك بمفتاحها بيدي
اضعه حيث شئت فقال : لقد ذلت يومئذ قريش وقلت قال : بل كثرت وعزرت وانا
استعين بعصمة الله وتوفيقة واجعلهما معيني على دفع شهماي واشكوا اليه عكوفي على
الاماني واسأله فهما لمواظبة عبر الدنيا فتد غميت عن كلوم غيرها بما جشم على خواطري
من الشغف ولست اجد مني منصفاً لي منها ولا حاجزاً لرغبي فيها عني واين ودائع العقول
وخزائن الافهام يا أولي الابصار صفحنا عن مساوي الدنيا غمناها لاجل موفى التفتيس
وترمي اليه يد الزوال وتكمن له الآفات قال كثير

كأني انادي صخرة حين اعرضت من الصم لوتحشي بها العصم زلت
واقول على مذهب كثير يادنيا في كل لحظة اطر في منك عبدة وفي كل فكرة لي منك

حسرة يا مرققة الصفا ويا ناقضة عهد الوفا ما وفق لحظة من عرج فحورك ولا سعد من اثر
المقام على حسن الظن بك هيهات يا معشر ابناء الدنيا لكم في الظاهر اسم الغني وفي الباطن
اهل التقلل لم نفس هذا المعنى كم من يوم لي اضر كثير الالهة قد اصحت سماؤه وامتد
عليه ظله تمدني ساعاته بالمني ويضحك لي عن كل ما هوى حتى اذا اتصل بكل اسبابي
وامتزج سروره بفرحي وروحي واتراي نفسي علي به الدنيا فسمعت بالتشيت الى الفقه
والنقص الى مدته فكسفت بهجته كسوفاً وارهقت نظرة وحشته الفراق وقطعتنا فرقا
في الآفاق بعد ان كنا كالأعضاء الموثقة والاغصان اللينة المتعطفة واحسرتني في يوم
يجمع شرقي كفن ولحد

ضيعت ما لا بد منه بالذي لي منه بد

وانشد قول ابن الرومي

الا ليس شيبك بالمتزع فهل انت عن غيه مرتدع
فاقلني وابكي بكاء غير نافع ولا نافع ويجب ان ابكي على بكائي وانشد
لساني يقول ولا افعل وقلبي يريد ولا اعمل
واعرف رشدي ولا اعتدي واعلم لكنني اجمل

عرض علي بعض الناس كأس خمر فامتنعت منها وقلت خلوتي والمطبوخ على مذهب
الشيخ الاوزاعي وقلت لم عرض ابراهيم بن المهدي على محمد بن خازم الخمر فامتنع وانشد

ابعد شبيبي اصبو والشيب للجهل حرب
سن وشيب وجهل امر لعمرك صعب
يا ابن امام فالأ أيام عودي رطب
واذ مشبي قليل ومنزل الحب عذب
واذا شفاء الغواني متى حديث وقرب
فالآت لما رأى بي العذاب ما قد احبوا
وآنس الرشيد متى نوم اعاب واصبو
آليت اشرب خمرأ ما حجب الله ركب

واقبلت على نفسي مخاطباً ولها معاتباً والخطاب لغيرها والمعنى لما تقدم اهلكم حتى كأنهم اهلكم
اما تستحيون من طول ما لا تستحيون فكان كالوليد لقلبه يد اللطف على فراش العطف عليه
نصرف اليه المنافع بغير طلب منه لصغره ونصرف عنه المضار بغير حذر منه لجهزه اما سمعت

الرسول عليه الصلاة والسلام اذ يقول في دعائه اللهم اكلاً في كلاً الوليد الذي لا يدري ما يراد به ولا ما يريد الا متعلق والاذلال اذ بال دليله الا مند مطية ورحلا ليوم رحيله يا هلاه الدجلة الدجلة انه من يبق الى الماء يظاً انما منعتك ما تنتهي ضناً بك وغيرة عليك قال الرسول عليه الصلاة والسلام : اذا احب الله عبداً احماه الدنيا وانت تشكوني اذا حميتك وتكره صياني اذا صنتك الا لا تذب بفتائنا ليعز الا فاراً اليها لا فار منا يامن له بد من كل شيء ارحم من لا بد له منك على كل حال الله يغني بشيء عن شيء وليس يغني عنه شيء فلهذا قال جبريل للخليل الك حاجة قال : اما اليك فلا الله يستحق ان يسأل وان اغنى لانه لا يغني بشيء عنه اطعمه ليطعمه ولا تطعمه ليعطيك فتفتر وتمل . من ترك تدبيره لتدبيرنا ارحناه جل من لوالب القلوب والههم بيده وعزائم الاحكام والاقسام عنده

انسيت ذكر احبة ينسون ذنبك عند ذكرك
وجفوتهم ولطالما كانوا خلافك طوع امرك
وصبرت عند فراقهم ما كان عذرك عند صبرك

تترك من اذا جفوته ونسيت ذكره وتعديت حده وتركت نهيه وضيعت امره وتبت اليه وعولت في نفسه عليك عليه وفلت : يارب قال : لك لييك « واذا سألك عبادي عني فاني قريب » ان كان الباب بوجهك فاتهمك وان قطعت انا اعضاءك فلا تنهمني انت الذي اذا اعطيتك ما املت تركتني وانصرفت « واذا نعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه » يا واقعاً بالتهم كم كم ليس يقول لك ما غرك بي نقول حيك والا لو ارسلت علي بقة لجمعتني عليك اذ اردت ان تجمعني

امن بعد شربك كأس النهي وشمك ريحان اهل التقى
عشت فاصبحت في العاشية من اشهر من فرس ابلقا
ادنيائي من غمر بحر الهوى خذي بيدي قبل ان اغرقا
انا لك عبد فكيفي كن اذا مره عيده اعتقا

كان يغداد رجل كبير الرأس فيلي الاذنين اسمه فاذهو رأسه في الازمنة الاربعة مكشوف لا يتورع عن ركوب مخزبة يقال له يا فاذهو وبلك تب الى الله فيقول يا قوم لم تدخلون بيوتي وبين مولاي وهو الذي يقبل التوبة عن عباده فكان في بعض الشوارع يوماً ذاهباً والشارع قد اتسع اسفله وضائق اعلاه والتفت جناحاً فيه فناولت جارة

جارتها مهراساً انسل من يدها على رأس فاذهه فهرس رأسه وخلط خلط المريسة واعجبه
عن التوبة وكان لنا واعظ صالح يقول لنا احذروا ميتة فاذهه .

قال جبريل في حديثه خشيت ان يتم فرعون الشهادة والتوبة فاخذت قطعة من
خال البحر فضررت بها وجهه يعني طينه والخال ينقسم ثمانية اقسام منها الطين فكيف
يصنع من عنده ان التوبة لا تصح من ذنب مع الافامة على آخر فلا حول ولا قوة
بلغني عن مولاي الشيخ ادام الله تأييده انه قال وقد ذكرت له اعرفه جزاً هو الذي
هجا ابا القاسم علي ابن الحسين المغربي فذلك منه ادام الله عزه رائع لي خوفاً ان يستشر
طبعي وان يتصورني بصورة من يضع الكفر موضع الشكر وهو بتعريف التنكير
انفع لي عنده لجلالة قدره ودينه ونسكه وانا اطلعه طلعه ليعرف خفضه ورفع
وفراداه وجمه.

كنت ادرس على ابي عبدالله بن خالويه رحمه الله واختلف الى دار ابي الحسين
المغربي ولما مات ابن خالويه سافرت الى بغداد ونزلت على ابي علي الفارسي وكنت
اختلف الى علماء بغداد الى ابي سعيد السيرافي وعلي بن عيسى الرائي وابي عبيد الله المرزباني
وابي حفص الكشائي صاحب ابي بكر بن مجاهد وكتبت حديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبلغت نفسي اغراضها جهدي والجهد عاذر ثم سافرت منها الى مصر ولقيت ابا الحسن
المغربي فالزمني ان لزمته لزوم الظل وكنت منه مكان المثل في كثرة الانصاف والحنو
والتجاف فقال لي سرّاً انا اخاف همة ابي القاسم ان تنزوبه الى ان يوردنا ورداً لا صدر
عنه وان كانت الانفاس مما تحفظ وتكتب فاكتبها واحفظها وطالعتني بها فقال لي يوماً
ما نرتي بالحمول الذي نحن فيه قلت واي حمول هنا تأخذون من مولانا خلد الله ملكه
في كل سنة ستة آلاف دينار وابوك من شيوخ الدولة وهو معظم مكرم فقال : اريد ان
تصار الى ابي ابا الكتائب والمواكب والمقائب ولا ارضى بأن يجري علينا كالولدان
والنسون فأعدت ذلك علي ابيه فقال : ما خوفي ان يحضب ابو القاسم هذه من هذه
وقبض على لحية وهامته وعلم ابو القاسم بذلك فصارت بيني وبينه وقفة

وانفذ الي القائد ابو عبدالله الحسين بن جوهر فشرفتي بشريف خدمته فرأيت
الحاكم كلما قتل رئيساً انفذ رأسه اليه وقال : هذا عدوي وعدوك يا حسين فقلت من
يريوماً يربه والدهر لا يغتر به وعلمت انه كذا يفعل به فالتأذنته في الحج فاذن فخرجت
في سنة سبع وتسعين وحجبت خمسة اعوام وعدت الى مصر وقد قتله فجاءني اولاده

سراً يرومون الرجوع اليهم فقلت لم خير مالي ولكم الارب ولا يكم ببغداد ودائع خمسمائة
الف دينار فاصربوا واهرب ففعلوا وفعلت وبلغني قتلهم بدمشق وانا بطرابلس فدخلت
الى انطاكية وخرجت منها الى ملطية وبها المايسطرية خولة بنت سعد الدولة فاقت
عندها الى ان ورد علي كتاب ابي القسم فسرت الى ميفارقين فكان يسر حسوا في ارتقاء
قال لي يوماً من الايام : ما رأيتك قلت : أعرضت حاجة ؟ قال : لا اردت ان العنك
قلت فالعني غائباً قال : لا في وجهك اشئني قلت : ولم قال : لخالفتك اياي فيما تعلم .
وقلت له ونحن على انس بتي وبيته لي حرمان ثلاث البلدية وتربية ايه لي وتربيته
لاخوته قال هذه حرم مهتكة البلدية نسب بين الجدران وتربية ابي لك منه لنا عليك
وتربيته لاخوتي بالخلع والدنانير اردت ان اقول له : استرحت من حيث تعب الكرام
نخسيت جنون جنونه لانه كان جنونه مجنوناً واصح منه مجنون واجن منه لا يكون
وقد انشد :

جنونك مجنون ولست بواحد طبيباً يداوي من جنون جنون
بل جن جنائه ورقص شيطانه

به جنت مجنونه غير انها اذا حصلت منه الب واعقل
وقال لي ليلة اريد ان اجمع اوصاف الشمعة السبعة في بيت واحد وليس يستح لي
ما ارضاه فقلت انا افعل من هذه الساعة قال انت جذيلها المحكك وعذيقها المرجب فاخذت
القلم من دواته وكتبت بحضرته

لقد اشبهتني شمعة في صباي وسيه هول ما التي وما اتوقع
نحول وحرقت في فناء ووحدة وتسهد عين واصفرار وادمع

فقال كنت عملت هذا قبل هذا الوقت فقلت تمنعني سرعة الخطر وتعطيني علم الغيب
وقلت : انت ذا كر قول ابيك لي ولك والبي الشاعر ولحسن الدمشقي ونحن في الطارمه
اعملوا قطعة قطعة فن جود جعلت جائزته كتبها فيها فقلت

بلغ السماء سمو به تشيد في اعل مكان
بيت علا حتى تو ر سيف ذراه الفرقدان
فانعم به لازات من ريب الحوادث في امان

فاستجاد سرعتها وكتبها في الطارقة وخلع على وكان ابي القسم ملولاً والمولول رجا مل
الملال وكان لا يمل ان يمل ويحقد حقد من لا تلين كبده ولا تفحل عقده وقال لي بعض

الرؤساء معانينا : انت حدود ولم يكن حدوداً فقلت له انت لا تعرفه والله ما كان يحى عوده ولا يرجى عوده وله رأي يزين له العقوق ويمتت اليه رسالة الحقوق ويميد من الطبع الذي هو للصد مدود وللآلف الوف ودود . كأنه من كبره قد ركب الفلك واستوى على ذات الحبك ولست ممن يرغب في راغب عن وصلته او ينزع الى نازع عن خلقه فلما رأيته ساوراً جارباً في قلة انصافي على غلوائه محوت ذكره عن صفحة فؤادي واعتددت وده فيما سال به الوادي

ففي الناس ان رثت حبالك واصل وفي الارض عن دار القلى مقبول
وانشدت الرجل ايبانا اعتذر بها في قطعي له

فلو كان منه الخير اذ كان شره عتيداً فلنا ان خيراً مع الشر
ولو كان اذ لاخير لاشر عنده صبرنا وقلنا لايريش ولا بهري
ولكنه شر ولا خير عنده وليس على امر اذا دام من صبر

وبغضني له شهد الله حياً وميتاً اوجبه اخذه محارب الكعبة الذهب والفضة ونهرها دنانير ودرام وسماها الكعبية واتب العرب الرملة وخرب بغداد وكم دم سنك وحريم انتهك وحره ارملة وصبي ايتم وانا معتذر الى الشيخ الجليل من ثمر بظه مع لقر بظي فيه لانه قد شاع فضله في جميع البشر وصار غرة على جبهة الشمس والقمر خلد ذلك في بدائع الاخبار وكتب بسواد الليل على بياض النهار وانا في مكتبة حضرة بمنظوم ومتشور كمن امد النار بالشرر واهدى الضوء الى القمر وحب في البحر جرعة واعار صبر الفلك سرعة اذ كان لا يحل النقص بواديه ولا بطور السهو بتاديه

ولقد سمعت من رسائله عقائل لفظ ان نعمتها فقد عبتنا وان وصفتها فما انصفتها واطرقتني يشهد الله اطراب السماع وبالله لو صدرت عن صدر من خزانته وكتبه حوله بقلب مائه في هذا ويرجع الى هذا فان القلم لسان اليد وهو احد البلاغتين لكان ذلك عجباً صعباً شديداً وو الله لقد رأيت علماء منهم ابن خالويه اذا قرئت عليهم الكتب ولا سيما الكبار رجعوا الى اصولهم كالقبايلين يتحفظون من سهو وضحيف وضابط والمعجب المعجب والناذر الغريب حفظه ادام الله تأييده لاسماء الرجال والمنشور كحفظ غيره من الاذكياء المبرزين والمنظوم وهذا سهل بالتقول صعب بالفعل من سمعه طمع فيه ومن رآه امتنعت عليه معانيه ومبانيه .

حدثني ابو علي الصقلي بدمشق قال : كنت في مجلس ابن خالويه اذ وردت عليه

من سيف الدولة مسائل تتعاق بالغة فاضطرب لها ودخل خزانته واخرج كتب اللغة وفرقها على اصحابه يفقشونها ليحجب عنها وتركته، وذهبت الى ابي الطيب اللغوي وهو جالس وقد وردت عليه تلك المسائل بعينها ويده قلم الحبرة فاجاب به ولم يغيره قدرة على الجواب وقال ابو الطيب : قرأت على ابي عمر الفصيح واصلاح المنطق حفتاً وقال لي ابو عمر كنت اعلت اللغة عن ثعلب على خزف واجلس على دجلة احفظها وارمي بها وانا تعبت وحفظت نصف عمري ونسيت نصفه وذلك اني درست ببغداد وخرجت عنها وانا طري الحفظ ومضيت الى مصر فامرحت نفسي في الاغراض البهيمة والاعراض الموثمية واردت بزعمي وخديعة الطبع المليم ان اذيقها حلاوة العيش كما صبرت في طلب العلم والادب ونسيت ان العلم غذاء النفس الشريفة وصيقل الافهام اللطيفة وكنت اكتب خمسين ورقة في اليوم وادرس مائتين فصرت الآن اكتب ورقة واحدة وتحكمني عيني حكماً مؤلماً وادرس خمس اوراق وتكل ثم دفعت الى اوقات ليس فيها من يرغب في علم ولا ادب بل في فضة وذهب فلو كنت اباسا صرت باقلا واضع كتاباً عن يميني واطلبه عن شمالي واريد مع ضعفي ارتداد لنفسي معاشاً بظهور غير ظهير بل كسير عقير وصلب غير صليب ان جلست فهو كالدمل وان مشيت فجعلني دماويل ومعى بقية نزرة يسيرة من جملة كثيرة لو وجدت ثقة اعطيته اياها ليعود علي بما اراه به جسمي من الحركة وقلبي من الشغل وانا اجد من ادفعها اليه وبقي ان يردها الي

دفع رجل الى صديق له جارية اودعها عنده وذهب في سفره فقال بعد ايام ان يأنس به وتسكن نفسه اليه : يا اخي ذهبت امانات الناس اودعني صديق لي جارية في حسابه انها بكر جربتها فاذا هي ثيب . ومن ظريف الاخبار ان بنت اخي سرقت لي ثلاثة وثمانين ديناراً فلما هددها السلطان اطال الله بقاءه ومد مدته وادام سموه وورعته، واخرجت اليه بعضها قالت : والله لو علمت ان الامر يجري كذا كنت قتلتها فاعجبوا من هريستي وزبوني والله لولا ضعفي وعجزتي عن السفر خرجت اليه متشرفاً بجالسته ومحاضرتة فاما مذاكرته فقد يثت منها لما قد استولى علي التسيان واحتوى على قلبي من المصوم والاحزان والى الله الشكوى لا منه وليس يحسن ان اشكو من يرحمني الى من لا يرحمني وليس يحكم من شكاه رجلاً الى غير رحيم وكان ابو بكر الشبلي يقول : ليس غير الله غير ولا عند غير الله خير . وقال يوماً : يا جواد ثم امسك مفكراً ورفع رأسه ثم قال : ما اوتخني اقول لك يا جواد وقد قيل في بعض عبيدك

ولولم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليتيق الله سائله
وقد قيل في آخر

تراه اذا جثته متهللا كأنك معطيه الذي انت سائله

ثم قال : بلى اقول يا جواد فاق كل جواد وبجوده جاد من جاد . ودخل ابن السماك
على الرشيد فقال له عظمي وفي يد الرشيد كوز ماء فقال : مهلاً يا امير المؤمنين ارأيت ان
اقدّر الله عليك مقدراً فقال لن امكك من شربة الا بنصف ملكك اکت فاعلاً ذلك
قال : نعم قال : اشرب هنأك الله فلما شرب قال : ارأيت يا امير المؤمنين ان لو اسفت
نفس هذا المقدر عليك فقال : لن امكك من اخراج هذا الكوز الا بأن استبد بملكك
دونك اکت فاعلاً ذلك قال : نعم قال : فاتق الله في ملكك لا يساوي الا بولة وكيف
اشكو من فائتي وعالتي نيفاً وسبعين سنة كان قيصي ذراعين فوكل بي والدين حديدين
مشققين يتناهيان في دقته ورقته وطيبه فلما صار اثني عشر ذراعاً تولاه هو وطعامي فما
اجاعني قط ولا اعزاني والذي هو يطعمني ويسقين خاطب ربه بالادب فقال : واذا
مرضت فهو يشفين فنسب المرض الى نفسه لانها تنفر من الاعراض والامراض وكل
شيء يطرأ على الانسان لا يقدر على دفعه مثل النوم واليقظة والضحك والبكاء والغم
والسرور والخصب والجذب والغمى والفقر فهو منه لقدست اسماءه الا ترى انه
لا يتوعد على فعله ولا يعاقب عليه وما يقدر على دفعه فهو منه مثل ان يريد الكتابة
فلا يقع منه البناء ويريد البناء فلا تقع منه الكتابة ومن به الرعدة لا يقدر على امساك
يد ومن ليست به يقدر على امساكها

كنت بئس وبين يدي انسان يقرأ ويحزن : « يوفون بالنذر ويخافون » ويكي فخطرت لي
خاطر فقلت انا بضد هؤلاء القوم صلوات الله عليهم انا لا انذر ولا اسفي ولا اخاف
شقاء ولا عناء ولو كنت اخاف ما اصبحت محموماً وكنته وحدتي من ائقي ولا اهتمه
عن ابيه وكان زاهداً قال : كنت مع ابي بكر الشبلي ببغداد في الجانب الشرقي بباب
الطاق فرأينا شاكراً قد اخرج حملاً من التنور كأنه بسرة نصجاً والى جانبه قد عمل
حلاوى فالودجاً فوقف ينظر اليهما وهو ساه مفكر فقلت يامولاي : دعني آخذ من هذا
وهذا ورقاقاً وخبزاً ومنزلي قريب تشرفني بأن تجعل راحتك اليوم عندي فقال : يا هذا
اظننت اني قد اشتبهتكما وانما فكري في ان الحيوان كله لا يدخل النار الا بعد الموت
ونحن ندخلها احياء

يارب عفوك عن ذي شبهة وجل كآء من حذار النار مجنون
 قد كانت ذم افعالا مذممة ايام ليس له عقل ولا دين
 تمت الرسالة والحمد لله ذي الافعال وصلواته على محمد وخيرة الآل ما فرغت من
 هذه السوداء حتى ثارت بي السوداء وانا اعتذر من خطي فيها اوزال فان الخطأ مع
 الاعتذار والاجتهاد والتحرر موضوع عن الخطي ومن ذا الذي يؤتي الكمال فيكمل
 قال عمر بن الخطاب : رحم الله امراً اعدى الى عيوبه واسأله ادام الله عنه نشره
 بالجواب عنها فان هذه الرسالة على ماها قد استحسنه وكتبت عني وسمعت مني وشرفتها
 بأسمه وطرزتها بذكره والرسالة التي كتبها الزهرجني الي كانت اكبر الاسباب في دخولي
 الى حلب واذا جاء جواب هذه سيرتها بحلب وغيرها شاء الله وبه الثقة وصلى الله
 على سيدنا محمد وعلى آله وسلم .

الدين والدنيا

واين يختلفان وكيف يتفقان

ادخر لدنياك ادخار الراغب فيها . وتزود من دينك زاد الراغب عنها

نسمع في الارض اليوم صيحة تصم الآذان منشأوها اختلاف المذاهب والاديان .
 وهي بكثرة الصائحين فيها قد صارت اشبه شيء بلغظ زمرة من المغنين وقد علت اصواتهم
 واختلفت لهجاتهم وتباينت نغاباتهم فيقف السامع الصحيح الاذن مبهوتاً من خلط هؤلاء
 المغنين كحلطنا بين الدنيا والدين

يريد بعض الناس ان يكون الدين كل شيء . وينظر غيرهم الى الدين كأنه لا شيء .
 وبين هؤلاء ، اولئك افراد وزمر واقوام يتشاحتون ويتجادون ويتخاذلون ويتشتلون
 تعصبا للدين ولكنهم في الحقيقة يسخطون رب العالمين الذي لو شاء لجعلها امة واحدة
 ووحد لها السراط الى عليين

في تعاليم كنفوشيوس المسألة والاخاء اساس الدين . وفي الديانات الوثنية وهي
 احط الادان في نظر الراقيين لا ظل لما نحن فيه ان العداء بسبب اختلاف المعتقد بل
 كل منهم وما يعبد شرط الولاء للقبيلة وفي التوراة على لسان سليمان الحكيم « من يعلم